University of Benghazi
Faculty of Education Almarj

جامعة بنغازي
كلية التربية – المرج
ISSN 2518-5845

Global Libyan Journal

المجلة الليبية العالمية

العدد السابع والخمسون / مارس / 2022

ابن مالك وأثره في التعليم المعاصر

د. سعد عبد الرحمن عثمان سعد / عضو هيأة التدريس – كليّة التربية القبّة – جامعة درنة /

University of Benghazi
Faculty of Education Almarj

جامعة بنغازي
كلية التربية – المرج
ISSN 2518-5845

Global Libyan Journal

المجلة الليبية العالمية

العدد السابع والخمسون / مارس / 2022

ابن مالك وأثره في التعليم المعاصر

الملخص:

ابن مالك ولد ونشأ في الأندلس ومنها أخذ بدايات تعليمه ثم انتقل إلى مصر والحجاز واستقر في الشام فتتلمذ على شيوخها من أمثال السخاوي، وابن يعيش وتلميذه ابن عمرون وغيرهم، فنال ابن مالك شهرة كبيرة في عصره، فكلِّف بالتدريس في مجالسها العلميّة في دمشق، وألّف الكثير من الكتب في شتى فنون اللغة، وكان في مؤلّفاته يدعو إلى التسهيل التيسير كما كان في اختياره للآراء وسطا ويدعو إلى الابتعاد عن التعقيد والتكليف ويردد ذلك دائما في كتبه.

وابن مالك نحوي مجدد فقد اختار من آراء البصريين الكثير وخالفهم في الكثير واختار من آراء الكوفيين الكثير أيضا وخالفهم في الكثير واختار من البغداديين والأندلسيين وغيرهم وخالفهم أيضا وهو في خياراته يدافع عن رأيه ويلزم الحجة ويكثر من الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وكلام العرب المنثور والمنظوم.

وهذا الأسلوب في الوسطية بالإضافة إلى التجديد والتسهيل والابتعاد عن التعقيد كان له عظيم الأثر في مؤلفاته التي أقبل عليها طلاب العلم ينهلون منها كما كان له أثره على التعليم المعاصر أيضا فما المناهج التي تدرّس الآن في المدارس والجامعات إلّا تطبيقًا لمنهج ابن مالك ودعواته المستمرة بالتسهيل لهذا كان هذا البحث الذي جاء في مبحثين.

المبحث الأول بعنوان ابن مالك وموقفه من التراث النحوي، وقسمته مطلبين. المطلب الأول التعريف بابن مالك وأما المطلب الثاني مذهب ابن مالك النحوي.

والمبحث الثاني الذي جعلته بعنوان: التجديد عند ابن مالك وأثره في التعليم المعاصر وقسّمته هو الآخر إلى مطلبين.

المطلب الأول معالم التجديد عن ابن مالك، والثاني أثر ابن مالك في التعليم المعاصر.

الكلمات المفتاحية : ابن مالك– التعليم المعاصر– أثر ابن مالك– التجديد .

Ibn Malik, and its impact on contemporary education

Dr. Saad Abdul Rahman Othman Saad

Summary

Ibn Malik was born and raised in Andalusia, from which he took the beginnings of his education, then moved to Egypt and the Hijaz and settled in the Levant. Among the books on the various arts of language, he used to call for facilitation and facilitation in his books, and in his choice of opinions he was a moderator and he called for avoiding complexity and immodesty and he always repeats that in his books.

Ibn Malik chose a grammarian, he chose many from the opinions of the Basrians and differed from them in many, and he chose from the opinions of the Kufics also many and disagreed

with them in many, and he chose from the Baghdadis and the Andalusians and others and he also disagreed with them, and in his choices he defends his opinion and requires the argument and a lot of citing Quranic verses, prophetic hadiths, and the words of the scattered Arabs And the system.

This method of moderation, in addition to innovation, facilitation, and avoidance of complexity, all had an impact on his books, which students of science flock to, and it also had an impact on contemporary education as well. About complexity, for this was this research, which was in two sections.

The first topic was entitled: Ibn Malik and his position on the grammatical heritage, and divided it into two demands, the first and facilitation and avoidance of complexity, so this research was in two sections.

Introducing Ibn Malik, and the second: Ibn Malik's grammatical school of thought.

And the second topic, which was entitled: The renewal according to Ibn Malik, and its impact on contemporary education, and divided it into two demands, the first: the features of renewal on the authority of Ibn Malik, and the second: the impact of Ibn Malik on contemporary education.

Key words : Ibn Malik - Contemporary Education - The Impact of Ibn Malik - Renewal.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

منذ أن فتح الله بلاد الأندلس للمسلمين ونشروا الإسلام فيها حرصوا على نشر العلم عامّة، والعلوم الإسلاميّة خاصة فتركوا تراثًا غزيرًا في شتّى أنواع العلوم والمعارف ولكنّ أهل الأندلس أدركوا أنّه لا سبيل لفهم القرآن خاصة وعلومه إلّا بإتقان اللغة العربية وأنَّه لا سبيل إلى إتقانها إلَّا بدراسةِ النحو فأَوْلوه من الاهتمام والعناية الكثير وتحمَّلوا في سبيل تعلُّمه مشاق التِّرحال على الرُّغم من طول المسافة ونأي الديار فتمكَّن كثيرٌ منهم من تحقيق غربته وعادوا إلى بلادهم علماءَ جالبين معهم الكتب المشرقية فالتفَّ حولهَم طـلابُ العلم تدفعُهم الرَّغبةُ في تعلُّم اللُّغةِ العربية لغةُ القرآنِ الكريم ولغةُ المسلمين الفاتحين.

وتعاقبت الأجيال جيلاً بعد جيل سالكة الطريق نفسه فأقبل الطلاّب على طلب العلم وأصبحت الأعداد في ازدياد وعمل الزمن على تطويرهم ونضوج وعقليتهم وبهذا أصبح لهم صيت يتحدث عنه القاصي والداني وكوّنوا لأنفسهم منهجًا ظلَّ مع مرور الزَّمن منهجًا متميِّزًا له طلابه ومؤيدوه.

ويعدّ ابن مالك من هؤلاء الرهط بل لعلّه أشهرهم حتّى ليخيّلُ للباحث أنّ ظهور ابن مالك يعدُّ بداية مرحلة جديدة في تاريخ النحو العربي ويتَّضح ذلك من مظاهر التجديد التي تميّز بها ابن مالك عن غيره من مزجٍ بين آراء النحاة حتّى يصعب على الباحث أن ينسبه إلى أيّ مدرسة من المدارس النحوية ومع التزامه بكثير من قواعد الأصول النحوية إلّا أنّه خالف البصريين في الكثير منها وكذلك الكوفيين وهو الذي أظهر آراء نحويّة لم تكن معروفة لدى السابقين كما غيّر وجدّد في بعض المصطلحات النحوية كلُّ هذا ظاهرٌ في هذا البحث الذي يتكون من مبحثين.

المبحث الأوّل وكان بعنوان ابن مالك وموقفه من التراث النحوي، وقسمته مطلبين الأوّل التعريف بابن مالك والثاني مذهب ابن مالك النحوي.

والمبحث الثاني الذي كان بعنوان: التجديد عند ابن مالك وأثره في التعليم المعاصر وقسمته مطلبين الأول معالم التجديد عن ابن مالك والثاني أثر ابن مالك في التعليم المعاصر.

أما عن أسباب اختيار الموضوع فهناك أسباب كثيرة شدّتني إلى الاهتمام بابن مالك وكانت سببا في اختيار الموضوع منها اهتمامه في كتبه بآراء السابقين حتّى يخيل إليك أنّ كتب ابن مالك تحوّلت إلى مسرح من الأحداث جمع فيها كلّ المدارس النحوية بخلافاتهم وآرائهم ليستفيد منها من أراد أن يوجز كتب النحو جميعا ومنها هذا الأسلوب الوسطي التعليمي الذي نهجه ابن مالك في كتبه عامة تقريبا الذي كان له أثره الواضح في التعليم المعاصر ويمكن أن يستفيد منه أيضا من أراد أن يكون معلما ناجحا.

أما عن الدراسات السابقة فقد كانت جلّها عن مؤلفات ابن مالك وأسلوب وآرائه ومنهجيته في كتبه وخلافاته وغير ذلك أما عن أثره في التعليم المعاصر فلم أجد أحدا تحدّث عن هذا حسب علمي وإطلاعي.

وإن كنت قد تحدث عن ابن مالك النحوي المجدد أراني مرغما في التزام التقليد بمنهجية البحوث فقد اخترت المنهج الاستقرائي الوصفي الذي يقوم على التحليل والتفسير للأمور المهمة.

وإنّي أسأل الله أن تلقى فكرة هذا العمل القبول سعيًا إلى التجديد في كلّ أعمالنا وكتاباتنا وابتعادًا عن التكرار والتقليد من هنا كانت أهمية هذا البحث في أنّه دعوة إلى التجديد وحثٌّ للقارئ والباحث على الاطلاع والمثابرة حتّى يكون الكتاب زاده ، والعلم طريقه ، والإبداع هدفه.

المبحث الأول ابن مالك وموقفه من التراث النحوي.

المطلب الأول التعريف بابن مالك.

عرّف المقرّي بابن مالك وذكر مولده ونسبه ومذهبه وأساتذته وعلمه فقال "وهو جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله ابن مالك الإمام العلامة الأوحد الطائي الجيّاني المالكي حين كان بالمغرب الشافعي حين انتقل إلى المشرف النحوي نزيل دمشق ولد سنة ستمائة أو في التي يعدها وسمع بدمشق من مكرم وأبي صادق الحسن بن صياح وأبي الحسن السخاوي وعيرهم وأخذ العربية عن غير واحد فمّمن أخذ عنه بجيان أبو المظفر وقيل أبو الحسن ثابت بن خيار عرف بابن الطيلسان وأبي رزين ابن ثابت بن محمد بن يوسف بن خيار الكلاعي[1]، ولكنّه نبّه إلى الخلاف في اسمه فقال "وقال بعض الحفّاظ حين عرّف بابن مالك يقال إنّ عبد الله في نسبه مذكورٌ مرّتين متواليتين، وبعضهم يقول مرّة واحدة[2].

وعلى كلّ حال فابن مالك تلقّى تعليمه المبكّر في الأندلس مثل أيّ طالب علم، وأوّل العلوم التي درسها هي علوم الدين فحفظ القرآن الكريم ودرس علومه وبرع في والقراءات ثم انتقل إلى كتاب سيبويه فدرسه دراسة المتفحص الحاذق.

ويبدو أنّ ابن مالك قد تميّز بالذكاء وحبّه للعلم ويظهر هذا واضحًا في قدرته على استحضار الشواهد من القرآن بالقراءات المختلفة واستشهاده كثيرًا بآراء سيبويه فقد ذكر المقرّي ذلك بقوله " وأخذ القراءات عن أبي العباس أحمد بن نوار وقرأ كتاب سيبويه على أبي عبدا لله ابن مالك المار شان[3].

ولابد أن أذكّر قبل الحديث عن ابن مالك بالحركة العلميّة الواسعة في الأندلس التي كانت سببًا في النهضة العلميّة التي استفاد منها ابن مالك، فقد بدأت الحركة العلميّة فيها عندما تولّى الخلافة فيها بنو أمية حيث بدأت الحركة العلميّة بفضل مناصرة بني أمية للغة تماما كما فعل أسلافهم في المشرق فرغب العلماء في العلم بفضل تشجيع الأمويين لهم وقدموا لهم المكافآت على دراستهم ومؤلفاتهم.

والحدث الأهمّ هو رحلة الكثير من العلماء إلى المشرق فمن الذين رحلوا من الأندلس إلى المشرق لطلب العلم جُودِي بن عثمان الموروي (ت198هـ)، الذي يعتبر أوّل من أدخل المذهب الكوفي إلى الأندلس والذي أخذ المذهب الكوفي عن الكسائي (ت197هـ)، والفرّاء (ت207هـ) ثم الأفشنيق (ت307هـ)، الذي أخذ كتاب سيبويه عن أبي علي الدّينُوري (ت289هـ)،

[1] – أحمد المقرّي، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،2 / 222 ، تح، إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت ط1-1968 م، وينظر أيضا في التعريف به، وبعلمه، وبأساتذته، وبتلاميذه، ووفاته، إضافة إلى نفح الطيب للسيوطي، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة 130/1، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، لبنان، وابن شاكر الكتبي، فوات الوفيّات 407/3، تح، إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، ط1-1973م، وصلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات 285/3، تح، أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، نشر دار إحياء، بيروت 2000م.

[2] – أحمد المقرّي، نفح الطيب 427/2.

[3] – المصدر السابق 223/2، وينظر بغية الوعاة 130/1.

فأخذ يقرئه لطلابه بقرطبة وتوالت رحلات طلاب العلم إلى المشرق لدراسة كتاب سيبويه حتّى ساد المذهب البصري إلى جانب المذهب الكوفي في الأندلس[4].

وكان لرحلة أبي علي القالي (ت356هـ)، إلى الأندلس الأثر البالغ في الحركة العلميّة الأندلسية فقد أكرمه الناصر لدين الله عبد الرحمن وشجّعه على التأليف فصنّف كتاب الأمالي وكتاب البارع ، وأخذ عنه الزبيدي (ت379هـ)، صاحب مختصر العين وهو الذي وجّه النَّحو في الأندلس إلى النَّحو البصري لأنَّه كان بصريَّ النزعة[5].

وهكذا تهافت الطلاب والعلماء ذهابًا وإيابا من الأندلس وإليها حتّى وصلت النَّهضة العلميّة في الأندلس إلى أسماع العالم الإسلامي كله فتمكّن النَّحويون الأندلسيون من مخالفة السابقين وظهرت أراء جديدة فنشط النَّقد والتَّوجيه والاستقلال بالرأي وتوسّع النَّحويون الأندلسيون في الاستشهاد بالحديث الشريف إلى جانب الاستشهاد بالقرآن الكريم وكلام العرب من الشِّعر والنثر واشتدَّ التَّنافس بين النحاة وظهرت شروح كتاب سيبويه وبذلك استطاع النَّحويون الأندلسيون إخراج النَّحو من سمته القديمة الذي اعتمد التقليد إلى حلّةٍ جديدة فإلى جانب الشُّروح والمتُون التي ظهرت آراء جديدة فخرج من النَّحويين من يحارب العامل والعلة كما هو الحال عند ابن مضاء القرطبي (ت592هـ)، الذي تأثّر بأميره يعقوب بن يوسف عبد المؤمن الذي حقّق رغبة جدّه عبد المؤمن في تأسيس دولة الموحدين فقام بثورة دينية وأحرق كتب المذاهب الأربعة ودعا إلى التَّمسّك بالقرآن والسنة وأصبح ابن مضاء في عهده قاضي قضاة فأراد هو أيضا أنْ يصنع ثورةً على النَّحويين على غرار ثورة مولاه[6].

لقد كان لهذه النهضة العلميّة الأندلسية أثرها فقد ازداد عدد العلماء حتّى بلغ عدد من ترجم لهم السيوطي من نحاة الأندلس ما يقرب من ثلث علماء العالم الإسلامي كله وهذا ما ذكره الأفغاني بقوله :"عمدت إلى بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي فأحصيت ما فيه من تراجم فإذا هو نحوٌ من (2450) ترجمة لعلماء من جميع الأقطار الإسلاميّة بين الصين وبحر الظلمات ووجدت للأندلسيين بينها نحوًا من (712) ترجمة وهذه نسبة عالية جدًا أن يبلغ من المصدر علماء هذا القطر القليل المساحة تقريبا من ثلث علماء العالم الإسلامي كله[7].

وبهذا الرصيد من العلماء والمؤلفات تكون المدرسة الأندلسيّة قد تشكّلت فعلاً عند الطنطاوي فقال "فعدلوا عن بعض أراء المشارقة في النحو فخالفوهم في منهاج تعليمه وتدوينه واستدركوا عليهم مسائل فاتتهم ، وبذلك استحدثوا مذهبًا رابعًا عُرِفَ بمذهب المغاربة[8].

---

[4] – ينظر: ألبير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، ص92 المكتبة العصرية، بيروت، ط 1967م، وعبد الرحيم الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري ص35-43 نشر جامعة قاريونس، ط2-1993م.

[5] – ينظر: نفح الطيب 70/3.

[6] – ينظر: ابن مضاء، الردّ على النحاة، ص17-19 تح، شوقي ضيف، ط-3- 1988م، دار المعارف القاهرة، ومحمد عيد، أصول النحو العربي، ص 30 عالم الكتب القاهرة ط-5-2006

[7] – الأفغاني، من تاريخ النحو، ص 98 نشر دار النفائس، بيروت، 1980م.

[8] – الطنطاوي، نشأة النحو، ص189 الطبعة الأولى، 1968م.

ولكنّ الحركة العلميّة في الأندلس كانت تتأثّر بالحالة والسياسية أو الأمنيّة التي تعيشها البلاد فظهور الفتن المستمرة في الأندلس وتولّي الحكم حُكّام لا يولون للعلم أيّ اهتمام كان من الآثار السلبية التي أدت إلى هجرة الكثير من العلماء إلى المشرق وخاصة مصر والشام.

من هؤلاء الهاجرين للأندلس ابن مالك الذي نزل بالقاهرة ثمّ رحل إلى الحجاز ثمّ توجه إلى حلب حيث تصدَّر لإقراء العربية وأمَّ بالسُّلطانية المسمّاة وبالظاهرية وهي مدرسة بحلب أسّسها الملك ظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي ثم نزل بحماة ثم دمشق مستوطنا بها يصنّف ويشتغل بالتدريس بالتربة العادليّة [9] – وهي الآن مقر المجمع العلمي العربي بدمشق بالقرب من الجامع الأموي وتولّى ابن مالك العدلية التي من شروطها القراءات والعربية.

لقد وجد ابن مالك حركة علميّة نشطة في مصر والشَّام خاصة في علوم النَّحو، واللُّغة والقراءات إلى جانب العلوم الدِّينية، كالتَّفسير والحديث الأمر الذي كان له الأثر في ثقافته وإنتاجه العلميّ الغزير، خاصة عندما تتلمذ على علماء المشرق من أمثال ابن يعيش (ت643هـ)، والسخاوي (ت 643هـ)، وابن الحاجب (ت64 هـ)، وابن عمرون (ت649 هـ) فازداد محصوله العلمي ، ونشطت عنده حركة التأليف ، وصار له منهج خاص في التعامل مع العلماء وآرائهم ومؤلفاتهم.

وقد جاء ابن مالك إلى بلاد الشَّام ، فوجد العلماء يتدارسون كتاب المفصَّل للزَّمخشري (ت538هـ)، والجُمل للزَّجَّاجي (ت340هـ)، إلى جانب كتاب سيبويه، ومؤلفات أبي علي الفارسي (ت377هـ)، فدرس جزءًا من شرح المفصل على شيخه ابن يعيش (ت643هـ)، كما اطَّلع على شرح المفصل للسَّخاوي وابن معط (ت628هـ)، وابن الحاجب(ت646هـ)، ويبدو أنَّه تأثر بابن الحاجب، حتّى أنَّه سار على نهجه، فألف الكافية والشافية، التي حدَّد ابن مالك أبياتها بقوله:

أبياته ألفان وسبعمائة وزيد خمسون ونيف أكمله

ثمّ اختصرها بعد ذلك في ألف بيت، ثمّ جمع الكافية والشافية في كتاب واحد سماه شرح الكافية الشافية، وهو الذي ألّف التسهيل أيضًا، الذي كان عبارة عن تسهيل لكتابه الفوائد والمقاصد، لكنّ تعسّر فهم التسهيل أيضًا على طلاب العلم دعا بعض الأمراء في عصره إلى طلب شرحه وتسهيله من ابن مالك نفسه، فشرحه في شرح التسهيل، الذي كان يفتخر به كثيرًا، ويحيل إليه فيقول: "وهو أليق بشرح كتابي الكبير، فمن أحبَّ الوقوف عليه فليسارع إليه"[10]، وهذه العبارة ذاتها وجِدتْ في شرح الكافية الشافية، وهذا يعني أنّ ابن مالك ألّف شرح التسهيل قبل شرح الكافية الشافية، وإذا كان ابن مالك لم يكمله كما تذكر بعض الروايات، وأنّ الذي أكمله ابنه، فكيف أكمل شرح الكافية الشافية قبله، ويحيل فيها إلى شرح التسهيل، وهو لم يكمله؟! وهذا يقودني إلى القول: إنّ هذا من المؤاخذات التي تحدّث عنها بعضهم عن ابن مالك، التي منها تخبطه، وتردّده في اختيار الآراء، فقد كان يختار رأيًا في كتاب من كتبه، ثمّ يعدل عنه في كتاب آخر، وقد أشار إلى ذلك كثيرًا الأشموني في شرحه للألفية، ولعلّ مبرّر هذا التردّد

[9] – ينظر: نفح الطيب، 224/2

[10] – ابن مالك، شرح الكافية الشافية، 334/1 تح، عبد المنعم هريدي، نشر جامعة أمّ القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى.

أنّ الإنسان يمرّ بمراحل متعددة في حياته تكون له فيها آراء، ثم يعدل عن هذه الآراء في مراحل متأخرة من حياته، وقد يختار الإنسان في بداية حياته قرارات سريعة، وفي مراحل متأخرة يتراجع عنها، فقد يعمل الإنسان تفكيره بعمق ورويّة، ويدرس العواقب والسلبيّات والإيجابيّات، ومثال هذا واضح في حياة الإمام الشافعي، فقد اختار آراء في العراق، وعندما قدم إلى مصر تراجع عنها.

وقد يكون لطبيعة الشعوب دورها في تغيير الآراء، فابن مالك مثلا: كان على مذهب المالكيّة في الأندلس، وعندما رحل إلى المشرق عدل عنه إلى المذهب الشافعي، ولربما يكون هذا راجعا لاكتمال النضج العقلي والعلمي لديه، وظهور الصورة الواضحة في صحّة الرأي، أمده في ذلك خبرته ومخزونه العلمي، الذي اكتسبه عبر السنين؛ لهذا لا أرى عيبًا في تراجع ابن مالك عن بعض الآراء.

ما استغربه هو نكران أن ابن مالك فضل أساتذته عليه، فقد تتلمذ لابن يعيش، والمتتبع لكتب ابن مالك، يجده لم يستعن بآراء أستاذه، ولم يذكر مؤلفاته، وتتلمذ أيضا للسخاوي، ولم يذكره، والأمر نفسه مع ابن الحاجب، العالم في النحو والقراءات، الذي استعان ابن مالك بكافيته وشافيته، في صنع مماثلة لها، ومع هذا لم يذكر فضله، ولم يستعن بآرائه، بل إنّه خالفه في مسائل لا تذكر.

المطلب الثاني : مذهب ابن مالك النحوي.

على كلِّ حال أصبح ابن مالك قادرا على التأليف، بعد أن استوعب ما تركته المدرستان– البصريّة والكوفيّة– من إرث عظيم، كما أدرك أنّ هذا الإرث قد اجتمع في المدرسة البغدادية فوعى ذلك وعرفه جيدًا، ولم يقع فيما وقع فيه الكثير ممن نُسبوا إلى المدرسة البغدادية، فهم يستندون على أراء البصريين والكوفيين، ويذكرونهما معًا، لكنّهم في النهاية يميلون إلى إحدى المدرستين، بل يذكرون بعض العبارات التي تدلّ على أن هذا النحوي بصري، أو كوفي، وهذا ما لم يفعله ابن مالك، فأنت لن تستطيع أن تحدّد لأي مدرسة ينتمي ابن مالك، فقد وافق البصريين في كثير من المسائل، وخالفهم في كثير من المسائل، كما وافق الكوفيين في الكثير من المسائل، وخالفهم أيضًا في الكثير منها، واختار أيضًا من آراء البغداديين والمصريين والشاميين والأندلسيين، وخالف بعضها واستفاد من الآخر .

وقد سلك ابن مالك في اختياره للآراء مسلكًا وسطا، فهو لا يميل إلى التأويل، بل يأخذ الأمور على ظاهرها[11]، وهو يذكر في مؤلّفاته أنّه اختار هذا الرأي؛ لأنّه هو الأسهل والأبعد عن التعقيد والتكلّف، ويرفض ذلك الرأي لما فيه من التكلف والمخالفة، وما يراه السيوطي أنّ ابن مالك كان ينهج منهجا وسطًا بين البصريين والكوفيين في الأخذ والاستدلال بالشواهد فقال: "لابن مالك في النحو طريقة سلكها بين طريقي البصريين والكوفيين، فإنّ مذهب الكوفيين القياس على الشاذ، ومذهب البصريين اتباع التأويلات البعيدة، التي خالفها الظاهر، وابن مالك يعلم بوقوع ذلك من غير حكم عليه بقياس ولا تأويل، بل يقول :إنّه شاذ، أو ضرورة"[12].

وبهذا أصبح ابن مالك أستاذ عصره، له خياراته، وآراؤه الخاصة، وقدراته الفذّة، فأبدع في التأليف خاصّة في النَّحو والتَّصريف، حتّى صار يُضرب به المثل في دقائق النَّحو، وغوامض الصّرف، فقد ذكر الصفدي بعضا من ذلك بقوله: "كان يقول عن الشيخ جمال الدين ابن الحاجب، إنّه أخذ نحوه من صاحب المفصّل، وصاحب المفصّل نحوه صغيراتٌ، وناهيك بمن يقول هذا في حقّ الزمخشري"[13].

لقد كان ابن مالك قويَّ الحجّة، واسع الاطلاع، يقدِّم لتأييد رأيه الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث الشَّريفة، والشِّعر العربي المعتدَّ به، ومنثور كلام العرب، فإنْ لم يجد نصًّا فيما هو بسبيله، اتَّجه إلى القياس، يتَّخذه حجّةً ودليلاً، فهو القائل عن نفسه: "إنَّه أعرفُ أهل زمانه بعلوم القراءات والنَّحو واللُّغة وفنون الأدب"[14]، في رسالة كتبها إلى السلطان الظاهر بيبرس، يطلب منه المعونة ببعض المال.

---

[11] – ينظر: نفح الطيب 228/2.

[12] – السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، ص 434 تح، وشرح، محمود فجال، دار القلم، دمشق ط1–1989م.

[13] – الصفدي صلاح الدين، الوافي بالوفيّات، 288/3

[14] – ابن مالك، مقدمة تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ص16 تح، محمد بركات، نشر دار الكاتب العربي، القاهرة 1967م.

ولأنّ ابن مالك حافظٌ للقرآن، وبارعٌ في القراءات؛ اعتمد القرآن مصدراً أوّلاً في الاستشهاد وقد اجتهد في ذلك، وأبدع في اختيار الآيات المناسبة لكلّ موضوع، وهو على اطّلاع واسع بالقراءات وعلومها، وهذا واضح في استشهاده بالقراءات، ومعرفة أصحابها، المتواتر منها والشّاذّ فهو يعتمدُ اعتماداً كبيراً على الاستشهاد بالقرآن الكريم، ويكثر من ذلك، ويؤكّد عليه، وكيف لا؟! وهو الذي بدأ دراسته بحفظ القرآن الكريم، ثُمَّ ازداد معرفة واسعة بالقراءات، وعلوم الدِّين واللُّغة ففي باب العطف مثلاً نراه يذكر أكثر من آية في ردّه على أبي علي الفارسي، الّذي جعل الفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف مخصوصاً بالضَّرورة بقوله:[15] "وجعل أبو عليٍّ الفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف والجار مخصوصاً بالضرورة... وهو جائز في أفصح الكلام المنثور، إنْ لم يكن المعطوف فعلاً، ولا اسماً مجـرورًا، وهو في القرآن كثير كقوله تعالى:

{وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} البقرة آية (201)، وقوله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}** النساء آية (58)، وقوله تعالى: **{وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ }** يس آية (9) وقوله تعالى: **{ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ }** الطلاق آية (12)

أمّا القراءات فقد أكَّدَ الصَّفديُّ أنَّه كان ضليعاً في القراءات بقوله: "كان إماماً في القراءاتِ وعِلَلَهَا، صنّف فيها قصيدة دالية مرموزة في قدر الشاطبية"[16]، ولم يتشدّد ابن مالك في الأخذ بالقراءات كما فعل البصريون، فقد قال السيوطي عنه: "كان قوم من النحاة المتقدمين يعيبون على عاصم وحمزة وابن عامر قراءات بعيدة في العربية، وينسبونهم إلى اللحن، وهم مخطئون في ذلك، فإنّ قراءاتهم ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة، التي لا مطعن فيها، وثبوت ذلك دليل على جوازه في العربيّة، وقد ردّ المتأخرون منهم ابن مالك، على من عاب عليهم ذلك بأبلغ ردٍّ، واختار جواز ما وردت به قراءاتهم في العربيّة، وإنْ منعه الأكثرون مستدلاً به من ذلك احتجاجه على جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار بقراءة حمزة[17] لقوله تعالى:**{وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ }**النساء آية1" [18]

وابن مالك في اختياراته للقراءات له استقلالية في اختيارها، وتوجيهها، وهذا الاختيار كان قائما على قراءة التواتر، وهي القراءات السبع، التي كانت موجودة في لسان العرب، فقد قال في دفاعه عن قراءة ابن عامر وهو أحد أصحاب القراءات المتواترة: "ثابتة بالتواتر ومعزوّة إلى موثوق بعربيته قبل العلم بأنّه من كبار التّابعين، ومن الذين يُقتدى بهم في الفصاحة، كما يُقتدى بمن في

[15] – ابن مالك، شرح التسهيل، 384/3 تح، عبدالرحمن السيّد، ومحمد بدوي، نشر هجر للطباعة القاهرة، ط1–1990م.
[16] – نفح الطيب، 222/2
[17] – ينظر: الفرّاء، معاني القرآن، 253/1 تح، أحمد يوسف النجاتي وآخرون، الدار المصريّة للتأليف القاهرة، ط1– 1980م.
[18] – الاقتراح، 69/1.

عصره من أمثاله، الذين لم يعلم عنهم مجاورة للعجم يحدث بها اللحن، ويكفيه شاهدا على ما وصفته به أنَّ أحد شيوخه الذين عوَّل عليهم في قراءة القرآن عثمان بن عفان– رضي الله عنه– وتجويز ما قرأ به في قياس النَّحو قوي"[19].

فالقراءةُ عند ابن مالك سُنَّةٌ متَّبعةٌ، والقُرَّاء لا يأتون بشيءٍ من عندهم، بل يلتزمون بكلّ ما نزل على النَّبيِّ– صلَّى الله عليه وسلّم– مِنْ الكتاب المنزَّل مِنْ عند الله– سبحانه وتعالى– وهو بهذا ينهجُ نهج سيبويه، الَّذي يرى أنَّ القراءةَ سُنَّةٌ متَّبعةٌ بقوله: "وقَدْ قَرَأَ بعضُهم[20]– لقوله تعالى–:**{وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ}**، فصّلت آية (17)، إلَّا أنَّ القراءةَ لا تُخالفُ؛ لأنَّ القِراءةَ السُنَّة"[21]، فقرأ سيبويه ثمود بالفتح، وأمّا اللُّغة فكان إماماً فيها يدلُّ على هذا ما قاله الصَّفديُّ، وهو يُعرِّف بابن مالك فقال: "وأما اللغة فكان إليه المنتهى فيها، أخبرني الشيخ الإمام شهاب الدين أبو الثناء محمود رحمه الله من لفظه، قال: جلس يوما، وذكر ما انفرد به صاحب المحكم عن الأزهري في اللغة قلت: وهذا أمر معجز؛ لأنّه يريد ينقل الكتابين"[22].

لقد اهتم ابن مالك بلُغاتُ العرب ولهجاتهم جميعا دون استثناء، فقد ذكر لغة هذيل واستدلَّ بها في السَّماع بقوله: "الْتَزَمَ غَيْرُ هُذيلَ في نحو: جَوْزَةٍ وَبَيْضةٍ سكونَ العين، فَسوَّوا في ذلك الأَسماء والصفات، وأَمَّا هُذيل فَسلكُوا بِهَذا النَّوع سَبَيْلَ مَا صحَّتْ عينه فقالوا: جَوَزَاتٍ وبيَضاتٍ كما قالَ جَميعُ العَربِ: تَمَراتٍ وجفَناتٍ، وقالوا في الصفات: جوْنات وغيْلات بالسكون، كما قال الجميع: ضخْمات وصعْبات"[23].

ويأخذ بلغة طيِّءٍ في توافق حركة عين الفعل الماضي والفعل المضارع بقوله: "الأصل توافق حركتي عين الماضي وعين المضارع، كما فعل بالأمر والمضارع... فإن لم يوجد السبب امتنع التوافق، إلّا ما شذَّ من قولهم: أَبَى يأْبَى ووَذَر يَذرُ، وما ألحق بأَبَى، كجَبَى يَجْبَى وقَلَى يَقْلَى، فموجّهٌ بأنّ الأصل: يَجْبِي ويَقْلِي بكسر الباء واللام ففتحتا، فانقلبت الياء ألفا، وهي لغة طيِّءٍ، ولم يحكم على يأْبى بذلك، لأنَّه لم يُسمع فيه الكسر، كما سُمع في: يجبِي ويقلِي..."[24].

فابن مالك لم يستثن من لهجات قبائل العرب أحدا، وقد كان محقّا عندما اعتنى في كتبه بنقل لغة قبائل خرجت عن النطاق الزمني كلخم وخزاعة وقضاعة وغيرهم، لأنّه لا يوجد المقياس الذي يجعل النحوي، يأخذ لغة قبيلة، ويرفض لغة أخرى، فلغات القبائل كلُّها حجّة مهما قال أبو حيان: "إنّ ذلك ليس من عادة أئمّة هذا الشأن"[25].

أَمَّا الشِّعر فقد سمع منه ابن مالك ما نقل عن العرب فحفظه، وكان على مقدرة كاملة بصناعته، واطلاعٍ واسع بالشعر والشعراء، وطبقاتهم حتّى احتار المتتبعون له، وتعجّبوا من أين يأتي بهذا الكم الهائل من الشعر؟! فذكر الرافعي شيئا من ذلك بقوله:

---

[19] – شرح التسهيل 277/3.

[20] – ينظر: الفراء، معاني القرآن، 14/3، والطبري، جمع البيان عن تأويل آي القرآن، 241/1، أحمد محمود شاكر، ط1– 2000 مؤسسة الرسالة.

[21] – سيبويه، الكتاب 148/1 تح، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط3– 1989م.

[22] – الوافي بالوفيات، 286/3 ، ونفح الطيب، 223/2.

[23] – المصدر السابق: 103/1

[24] – نفسه: 445/3

[25] – الاقتراح، ص 34.

"ولم يشتهر أحد في المتأخرين بالإكثار من تلك الشواهد، والاتساع في حفظها، كابن مالك النحوي، وكان قد أخذ العلم بنفسه، وليس له في الانتماء ما لغيره من العلماء، وقال الذهبي في ترجمته: وأما أشعار العرب التي يستشهدون بها على اللغة، والنحو، فكانت الأئمة الأعلام يتحيّرون فيها، ويتعجّبون من أين يأتي بها"[26].

لقد تحامل عبد العال مكرم على ابن مالك في اختياره للشعر، فقال: "إنَّ ابن مالك قد تأثَّرَ بالكوفيين، فقد احتجَّ بأشعارهم الَّتي رووها، ولم يبال عن أيّة قبيلة أُخذت، ولا عن أيّة لهجة رُويت، فمادامت هذه الأشعار تنتمي إلى أصل عربيٍّ، فهي حُجّة في الاستشهاد، ومصدر في القياس عليها، وتقعيد القواعد على أساسها"[27].

وما يبدو لي أنَّ ابن مالك لم يأخذ عن الكوفيين إلَّا ما كان موثوقًا منه ومعروف القائل وكامل الشَّطرين، والدَّليل على قولي ردُّه على الكوفيين استشهادهم بقول الشاعر[28]: **ولكنَّني مِنْ حُبِّها لَعَمِيْدُ**، بقوله: "لا حجَّة فيه لشذوذه، إذ لا يُعلم له تتمة، ولا قائل، ولا راوٍ عدل يقول: "سمعت ممّن يوثق بعربيته، والاستدلال بما هو هكذا في غاية الضعف"[29]، ومن الواضح أنَّ ابن مالك تميّز بذكاء خارق، وقدرة على الحفظ، فهو الَّذي حفِظ الكثير من الشِّعر، وأبدع في اختيار الشَّواهد منه، فهو لا يختار منه إلّا ما كان موثوقاً به وقائله معروف.

وابن مالك استشهد بشعر شعراء خرجوا عن النطاق الزمني، كالمتنبي عندما استشهد به في إعمال (لا)، فقال: "وشذّ إعمالها في معرفة في قول النابغة الجعدي رضي الله عنه:[30]

بَدَتْ فعلَ ذى وُدَّ فلما تبعتُها تولَّت وخلَّتْ حاجتي في فؤاديا

وحلَّتْ سوادَ القلبِ لا أنا باغيا سواها ولا في حبها متراخيا

وقد حذا المتنبي حذو النابغة فقال:[31]

إذا الجودُ لم يُرْزَق خلاصا من الأذى فلا المجدُ مكسوبا ولا المالُ باقيا

والقياس على هذا شائع عندي".[32]

فابن مالك توسع فعلا في دائرة الاحتجاج، والاستشهاد، فاستشهد بشعراء خرجوا عن النطاق الزمني المعروف، وفي اعتقادي أنّ السبب الذي جعله يستشهد بشعراء خرجوا عن النطاق الزمني المتعارف عليه، هو من قبيل تقوية الحجّة فقط، وزيادة في الشواهد التي تؤكّد قوله.

---

[26] – الرافعي، تاريخ آداب العرب، 230/1 نشر، دار الكتاب العربي.

[27] – عبد العال مكرم، المدرسة النحويّة في مصر والشام في القرنين السابع والثامن، ص 251.

[28] – البيت من الطويل لا يعرف قائله، وليس له تتمة، ينظر الأشموني، شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك، 238/1 دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى الحلبي، القاهرة.

[29] – شرح التسهيل، 29/2.

[30] – البيتان من الطويل، ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، 256/1 تح، محمد محيي الدين، دار الطلائع للنشر، القاهرة، 2005م.

[31] – البيت من الطويل، ينظر: مغني اللبيب، 256/1.

[32] – شرح التسهيل، 377/1.

واتُّهِم ابن مالك بالسرقة، والتزوير، والكذب، واستشهاده بأشعار لم تكن موجودة في كتب النحاة السابقين، فقال أحدهم: "مزوّرٌ كبيرٌ، ومخترعُ أكاذيب، وصانع شواهد، كان يخترع القواعد النحويّة، ويصنع شواهدها معها، وأنّه أسرف في صناعة الشواهد حتّى صنع ما يقرب من سبعمائة شاهد"[33].

ولكنّي أقول: فإذا كان ابن مالك مزوّرًا وكاذبًا كما قال الدكتور نعيم سليمان، فهذا يعني أنّ كلّ ما كتبه ابن مالك في هذا الكمّ الهائل من الكتب، غير صحيح سواءً كان في الشعر، أو في قدرته في الاستشهاد بالأحاديث النبويّة الشريفة، أو في القراءات الشاذة، التي استدلّ بها، أو في الآراء التي ذكرها في كتبه واستشهد بها، أو نقلها عن غيره، أو حتّى تلك الآراء التي أشاد بها، وبأصحابها.

ويبدو أنّ الدكتور نعيم قد وجد سندًا له عند القدماء مثل الصفدي الذي قال: "أمّا اطلاعه على أشعار العرب، التي يُستشهد بها في النحو واللغة، فكان أمرًا عجيبًا، وكان الأئمة والأعلام يتحيّرون في أمره"[34]، وقول أبي حيّان في تعليقه على إعمال لا عمل ليس فقال: "والذي يُحفظ من ذلك قوله: [35]

تعزَّ فلا شيءٌ على الأرض باقيا ولا وزر مما قضى الله واقيا

استشهد به ابن مالك، ولا أعرف هذا البيت إلا من جهته"[36]

والغريب في الأمر هو أنّه إذا كان ابن مالك مزورًا فعلاً، أو كاذبًا، فلماذا لم يكتشف ذلك النحاة، أو العلماء المعاصرون له؟! أو من جاءوا بعده، وخاصّةً أبو حيان، الذي كان يتتبع أخطاء ابن مالك، وقد ذكرنا أنّه قال: لا أعرف هذا البيت إلا من جهته، ولم يقل مزورٌ وكاذبٌ بل إنّ أبا حيان انقلب على نفسه، واعترف بقدرات ابن مالك العلميّة فقال: "قد نهج هذا المصنّف في تصانيفه كثيرًا بالاستدلال بما وقع في إثبات القواعد الكليّة في لسان العرب، وما رأيت أحدًا من المتقدِّمين، ولا المتأخِّرين سلك هذه الطريقة غير هذا الرجل"[37]، وقال أيضًا: "كان كثير الاطلاع ثقة فيما ينقله"[38].

أقول أنّه علينا أن ننظر بمنظار الحقِّ، والعدل خاصّة وأنّ الكثير من الكتب بها الكثير من الشواهد غير معروفة القائل، وهذه ليست جديدة، فإذا كانت هذه الشواهد، التي استشهد بها ابن مالك غير موجودة عند غيره من النحاة، وثبت أنّها من شعره، علينا أن نثبت ذلك بأنْ نبحث عن شعره، فللرجل قدرة على النظم، وهذا واضح في الألفيّة، والكافية الشافية، وأغلب مؤلّفاته، وإلّا قد نضطر إلى القول بأنّ أشعار ابن مالك قد ضاعت مثلها مثل غيرها من التراث العربي العظيم الذي ضاع، أو أُتلف بسبب

---

[33] – نعيم سليمان البدري، صناعة الشاهد الشعري عند ابن مالك، ص6 دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثالثة

[34] – الوافي بالوفيات، 286/3

[35] – البيت من الطويل، مجهول القائل، ينظر: ابن هشام شرح قطر الندى ص144 تأليف محمد محي الدين دار الفكر للنشر طرابلس ليبيا د.ط

[36] – أبو حيان، تفسير البحر المحيط، 96/2 تح، عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، نشر دار الكتب العلميّة، بيروت 2001م.

[37] – نفح الطيب، 263/7.

[38] – أبو حيان، التذييل والتكميل، 249/5 تح، حسن هنداوي، نشر دار القلم، دمشق الطبعة الأولى.

الحروب، أو الإهمال، أمّا أن نتّهم ابن مالك بأنّه كاذب ومزوّر فهذا لا يرقى إلى الأدب والأخلاق بشيء، في ظل عدم وجود دليل واضح، وقاطع خاصّة، وأنّ بعض الباحثين أثبت وجود بعض من هذه الشواهد في كتب النحاة، وهذا يعني أنّ الدكتور نعيم لم ينتبه إليها، أو لم يكن صادقًا، ولا دقيقًا في كلّ أحكامه.

ثم إنّ الناظر إلى رحلة ابن مالك العلميّة، وأساتذته، ومؤلفاته، وتكليفه بمهمّة التدريس في العدليّة في دمشق– التي لا يتقدّم لها إلّا من شهد له الناس بالعلم– لا يشك في أنّ الرجل تحصّل على قدر عظيم من العلم، وكذلك الروايات عن علمه– ذلك العلم الذي جعل له شهرة بين علماء عصره، وما تركه من بعده من مصنّفات قيّمة، انشغل بها العلماء شرحًا، وإيضاحًا وتعليقًا، وإقبال الطلاب عليها من بعده– ورحلته من الأندلس إلى المشرق طواعيّة، ودعوته النّاس في العدليّة لأخذ العلم عنه؛ لتدل على امتلاك الرجل لعلمٍ لا يستطيع أحد إنكاره.

المبحث الثاني: التجديد عند ابن مالك وأثره في التعليم المعاصر.

المطلب الأول: معالم التجديد عند ابن مالك.

ابن مالك نحوي مجدّد يرى أن الله عزّ وجل قد منحه مقدرة على التجديد[39]، وقد صرّح بذلك في مقدّمة كتابه (التّسهيل)، حيثُ يقول: "وإذا كانت العلومُ مِنحا إلهيّة، ومواهبَ اختصاصيّة، فغير مستبعدٍ أنْ يُدَّخر لبعض المتأخرين، ما عُسرَ على كثير من المتقدمين"[40]

فابن مالك من الأئمة المجتهدين، لم يقف موقف العاجز، أو الحائر، أو موقف المقلِّد التَّابع؛ لأنَّه استطاع أنْ يعيش على مائدة العلم فترة من الزمن، فكان همّهُ دائمًا أنْ يستوعب كلَّ ما ورد من العرب، ويدرس كلّ ما ورد عن النُّحاة، ويقابل هذا بذاك، ويقارن الأقوال بعضها ببعض، فإذا وضُحت له فكرةٌ خاصَّةٌ، أو رأْيٌ جديد، أو نقد بنَّاء، حرَّرَ ذلك كلَّه في منطقٍ قويٍّ وعبارةٍ متينةٍ، وأيَّده بكلّ ما يملك من أدلة وبراهين.

لهذا نرى لابن مالك آراء انفرد بها في النَّحو، واتجاهات اختصّ بها، لم يُقلِّد في هذه الآراء أحداً ممَّن سبقه، ولم يتَّجه في هذه الاتجاهات وجهةً معيَّنةً، بصريَّةً، أو كوفيَّةً، أو أندلسيَّةً، أو بغداديَّةً، ففي قول الشاعر:[41]

إذا ما الغانيات برزن يوما وزجّجن الحواجب والعيونا

وقول الآخر:[42]

علفتها تبنا وماء باردا حتّى شتت همّالة عيناها

ذهب الجمهور إلى أنّه من عطف الجمل بإضمار فعل مناسب مثل: كحّلن في الشطر الأوّل وسقيتها في الشطر الثاني، وذهب ابن مالك إلى أنه من عطف المفردات لما يجمع بين العامل المذكور والمحذوف من معنى مشترك، هو التحسين في الأوّل، والطعام في الثاني[43].

وذكر ابن مالك أنّ المضارع قد يجزم بعد لعل عند سقوط فاء السببية[44] مستدلًّا بقول أحد الشعراء:[45]

لعل التفاتا منك نحوي مقدّر ... يمِل بك من بعد القساوة للرحم

---

[39] – ينظر: سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو، ص97.

[40] – مقدمة التسهيل، ص64.

[41] – البيت من الوافر، للراعي النميري، ينظر: شرح الأشموني، 389/1.

[42] – البيت من الرجز، لم يعرف قائله، ينظر: شرح الأشموني 389/1.

[43] – ينظر: السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، 228/5 تح، عبد العال مكرم، نشر عالم الكتب، القاهرة، 2001م.

[44] – ينظر: ابن مالك، شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، 347/1 تح، عدنان عبدالرحمن الدوري، والمغني 1/ 174.

[45] – البيت من الطويل لم يعرف قائله، ينظر: شرح عمدة الحافظ، 347/1.

وعند حديثه عن إضمار كان الناقصة خالف الجمهور بقوله: "ومثال إضمار كان الناقصة بعد لَدُن قول الشاعر يصف ناقة:[46]

من لَدُ شَوْلاً فإلى إتّلائها

والتقدير: من لَدُ أن كانت شولاً، كذا يقدره الجمهور، وعندي أنَّ تقدير (أنْ) مُستغنىً عنه كما يُستغنى عنها بعد مُذُّ"[47].

وفي باب أفعال المقاربة، انفرد بأنَّ عسى ناقصة دائماً بقوله: "والوجه عندي أنْ تُجعل عسى ناقصة أبداً" فإذا أُسندت إلى أنْ والفعل، وجه بما يوجه وقوع حسب عليها في نحو قوله تعالى: **{أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ }** العنكبوت آية (2)، فلمَّا لم تخرج حسب بهذا عن أصلها، لا تخرج عسى عن أصلها، بمثل قوله تعالى:

{ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } البقرة (216)، بل يقال في الموضعين: سدَّت أنْ والفعل مسد الجزأين، وبوجه نحو قوله تعالى: **{فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ }** المائدة آية (52)، بأنَّ المرفوع اسم عسى، وأنْ والفعل بدلٌ سدّ مسدّ جُزأي الإسناد، كما كان يسدُّ مسدَّهما لو لم يوجد المُبدلُ منه، فإنَّ المبدلَ في حكم الاستقلال في أكثر الكلام، ومنه قراءة حمزة لقوله تعالى: **{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا}** آل عمران آية (178)، بالخطاب على جعْل أنَّ بدلاً من الذين وسدّت مسدّ المفعولين في البدلية"[48].

وعند حديثه عن الاستثناء، رفض قول النُّحاة أنَّ لاسيما من أدوات الاستثناء بقوله: "وذلك عندي غير صحيح، لأنَّ أصل أدوات الاستثناء هو إلَّا، فما وقع موقعه، وأغنى عنه، فهو من أدواته، وما لم يكن كذلك فليس منها"[49].

وفي باب حروف الجر، وعند حديثه عن الباء السببيّة، التي عبّر عنها النُّحاة بباء الاستعانة، بين ذلك بقوله: "وآثرتُ على ذلك التعبير بالسببية؛ من أجل الأفعال المنسوبة إلى الله تعالى، فإنَّ استعمال السببية فيها يجوز، واستعمال الاستعانة فيها لا يجوز"[50].

وفي باب المعارف، وعند حديثه عن اسم العلم المنقول، يرفض أنْ يكون (إصْمت)- اسم لفلاة- أنْ يكون منقولاً عن الأمر بالصمت، بقوله: "لم يرد عن العرب علم منقول من مبتدأ وخبر، ولا منقول من فعل أمر دون إسنادٍ، إلّا (إصْمِت) اسما للفلاة الخالية، فإنَّ من العلماء من زعم أنَّه منقول عن الأمر بالصمت، وذلك عندي غير صحيح لوجهين، أحدهما أنَّ الأمر بالصمت، إمَّا أنْ يكون من: (أَصْمَتَ)، وإمَّا أنْ يكون من (صَمَتَ)، فالذي من أصْمتَ مفتوح الهمزة، والذي من صمت مضمومها

[46] – البيت من الرجز لم يعرف قائله، ينظر: الكتاب، 264/1.
[47] – شرح التسهيل، 365/1
[48] – نفسه، 394/1.
[49] – نفسه، 318/2.
[50] – نفسه، 150/3.

ومضموم الميم، وإصْمت" بخلاف ذلك، والمنقول لا يغيَّر، والثاني: أنَّه قد قيل إصمته، بهاء التأنيث، ولو كان فعل أمر، لم تلحقه هاء التأنيث"[51].

وفي باب البدل يمنع إبدال المضمر من الظاهر، مثل: (رأيت زيداً إياه)، والمضمر من المضمر، نحو: (رأيتك إياك)، بقوله: "ولم أُمثِّل بهذين المثالين إلّا جرياً على عادة المصنِّفين المقلِّد بعضهم بعضاً، والصحيح عندي أنّ نحو: (رأيت زيداً إياه) لم يستعمل في كلام العرب نثره ونظمه، ولو استعمل لكان توكيداً لا بدلاً"[52].

وكان يذهب إلى أنّ لكنْ في مثل: (ما قام زيدٌ، ولكنْ عمرٌو) غير عاطفة، والواو عاطفة لجملة حُذف بعضها على جملة صُرّح بجميعها، والتقدير: (ولكنْ قام عمرٌو) بقوله: "وما يوجد في كتب النحويين من نحو، ما قام سعد لكنْ سعيد، ولا تزُرْ زيداً لكنْ عمراً، فمن كلامهم، لا من كلام العرب؛ لذلك لم يمثِّل سيبويه في أمثلة العطف، إلَّا بـ (ولكنْ) وهذا من شواهد أمانته"[53].

وفي باب التنازع، يرى جواز التنازع بين فِعْلَيْ التَّعجُّب بقوله: "والصحيح عندي جوازه، لكن بشرط إعمال الثاني، كقولك: (ما أحْسَن وأعَقل زيداً) تنصب زيداً بأعقل، لا بأحسن؛ لأنَّك لو نصبته بأحسن، لفصلت ما لا يجوز فصله"[54].

وذكر في الكافية والتسهيل، أنَّ (ما)، و(مهما) قد يردان ظرفي زمان، قال في شرح الكافية: "جميع النحويين يجعلون ما ومهما مثل من في لزوم التجريد عن الظرفية، مع استعمالهما ظرفين ثابت في إشعار الفصحاء من العرب" وأنشد أبياتا منها قول الزبير:[55].

فما تحي لا تسام حياة وإن تمت فلا خير في الدنيا ولا العيش اجمعا

وقول حاتم في مهما[56]:

وإنّك مهما تعط بطنك سؤله وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا

ويرى ابن مالك أنَّ (وني)، و (رام)، بمعنى زال الناقصة في العمل فقال: "وقيدت زال بكون مضارعها يزال، احترازا من زال بمعنى تحوّل، فمضارعه يزول، وهو فعل لازم، احترازا من زال الشيء بمعنى عزله، فمضارعه يزيل، وقيدت: وَنى ورام الملحقتان بهن بمرادفتهما لهن، احترازا من ونى بمعنى فتر، ومن رام بمعنى حاول، وبمعنى تحوّل، ومضارع التي بمعنى حاول يروم، ومضارع التي بمعنى تحول يريم، وهكذا مضارع المرادفة زال، وهي ووني بمعنى زال غريبتان، ولا يكاد النحويون يعرفونهما، إلّا من عني باستقراء الغريب، ومن شواهد استعمالهما، قوله:[57].

---

[51] – نفسه، 171/1.
[52] – نفسه، 332/3، وينظر: الهمع، للسيوطي، 220/5.
[53] – شرح الكافية الشافية، 1230/3.
[54] – شرح التسهيل، 177/2.
[55] – البيت من الطويل، لعبد الله بن الزبير الأسدي، ينظر: شرح الكافية الشافية لابن مالك 1627/3.
[56] – البيت من الطويل، لحاتم الطائي، ينظر: شرح الكافية 1627/3.
[57] – البيت من الخفيف، غير معروف، ينظر: شرح التسهيل 334/1.

لايَنِي الحُبُّ شِيمةَ الحَبِّ مادا م فلا يحسبنَّه ذا ارعواءِ

وقوله:[58].

إذَا رُمتَ ممن لا يَرِيم متيما سُلُوًّا فقد أَبْعدتَ في رَوْمِك المرمى[59]

وفي قول الشاعر:[60]

لولا فَوارِسُ مِنْ نُعْمٍ وأسْرَتُهُم يَومَ الصُّليفاء لم يُوفُون بِالجار

وقد ذهب الجمهور إلى جواز رفع المضارع بعد لم الجازمة، وما يراه ابن مالك أنّها لغة.[61]

وابن مالك لم يكتف بما اختاره من الآراء النَّحويَّة، التي انفرد بها عن غيره من البصريين والكوفيين وغيرهم من النحاة، ولكنّه جدّد في المصطلحات النحوية، فهو قد يستعمل المصطلح البصري، وقد يستعمل المصطلح الكوفي، وقد يستعملهما معا، لكنه جدَّد في الكثير من المصطلحات، التي تعارف عليها السَّابقون، فقد استحدث مصطلح الضمير المخفي، بدل الضمير المستتر، فقال: "فمنه واجب الخفاء، وهو المرفوع بالمضارع ذي الهمزة، أو النون، وبفعل أمر المخاطب، ومضارعه، واسم فعل الأمر مطلقا، ومنه جائز الخفاء، وهو المرفوع بفعل الغائب، والغائبة، أو معناه من اسم معنى، وصفة، وظرف وشبهه"[62] ويقول في موضع آخر: "والجائز هو الذي يخلفه ظاهر، أو مضمر بارز"[63]، وهذان النوعان هما المعروفان بالمستتر وجوباً، والمستتر جوازاً.

واستحدث مصطلح نائب الفاعل، بدل المفعول الذي لم يُسمَّ فاعله، وهذا ما أعجب الخضري فقال: "وهي أولى، وأخصر من قول الجمهور: المفعول الذي لم يُسم فاعله"[64].

كما استحدث مصطلح البدل المطابق، بدلاً من قولهم: بدل كلٍّ من كلٍّ، فقال: "وذكر المطابقة أولى، لأنَّها عبارة صالحة لكلّ بدل يساوي المبدل منه في المعنى، بخلاف العبارة الأخرى، وأنّها لا تصدق إلَّا على ذي أجزاء، وذلك غير مشروط؛ لإجماع النُّحاة على إثباته في أسماء الله تعالى، كقراءة غير نافع وابن عامر[65] {إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهِ} إبراهيم آية(1) رفع لفظ الجلالة وخفضه"[66].

58 – البيت من الطويل، غير معروف، ينظر: شرح التسهيل 334/1.

59 – شرح التسهيل، 334/1، وينظر: الهمع 67/2.

60 – البيت من البسيط، غير معروف القائل، ينظر: المغني 292/1 والأشموني 315/2 وابن يعيش، شرح المفصل 213/4، نشر دار الكتب العلمية بيروت ط1-2001م.

61 – ينظر: المغني 292/1.

62 – التسهيل، ص33.

63 – شرح التسهيل، 120/1.

64 – محمد الخضري، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل 373/1 مطبعة عيسى الحلبي 1940م.

65 – بخفض لفظ الجلالة ورفعه، الخفض على أنه بدل من (الحميد) والرفع على الاستئناف؛ لانفصاله من الآية، ينظر: معاني القرآن للفراء 67/2 والرفع قراءة نافع، وابن عامر، وأبي جعفر، والخفض قراءة غيرهم.

66 – شرح الكافية الشافية، 1274/3.

واستحدث المعرَّف بأداة التعريف، بدل المعرف بأل: قال الخضري: "هذا أولى من التعبير بأل؛ لجريانه على كلّ الأقوال الآتية، ولصدقه بأمْ عند حمير"[67].

واستحدث من الحديث الشريف لغة تضاهي لغة العرب، فقد استعمل لغة يتعاقبون فيكم ملائكة: بدلاً من قولهم: (لغة أكلوني البراغيث)، فقال في تعريف المبتدأ "وهو ما عدم حقيقة، أو حكماً عاملاً لفظيًّا من مخبر عنه، أو وصف سابق رافع ما انفصل وأغنى... ولا خبر للوصف المذكور؛ لشدة شبهه بالفعل، ولذا لا يصغر، ولا يوصف، ولا يُعرَّف، ولا يُثنى، ولا يجمع، إلا علي لغة "يتعاقبون فيكم ملائكة""[68]، وقد بيَّن ابن مالك هذه المسألة في كتابه (شواهد التوضيح) عند حديثه عن الحديث التالي: " **كُنَّ نساءُ المؤمناتِ يشهدْنَ مع رسولِ الله – صلّى الله عليه وسلَّم – صلاةَ الفجرِ**"[69]، قال: "وعلى هذه اللغة قول النبي– صلى الله عليه وسلم– "يتعاقبون فيكم".

والضرورة عند ابن مالك تختلف تمامًا عن الضرورة عند غيره من النُّحاة، فأكثرهم يرى أنَّ الضرورة ما ورد في الشعر، سواء أكان للشاعر عنه مندوحة، أم لم يكن له عنه مندوحة، أمّا ابن مالك، فيرى أنَّ الضرورة هي ما ورد في الشعر، وليس للشاعر عنه مندوحة، أمَّا ما يمكن أنْ يحلَّ غيره محلّه، مع سلامة النظم، فليس ضرورة ، فعند الكلام عن الضمير الواقع خبراً لكانَ أو إحدى أخواتها يقول: "فرجَّح الاتصال؛ لأنَّه أكثر في الاستعمال، ومن الوارد من ذلك في النظم دون ضرورة قول الشاعر[70]:

كَمْ لَيْثٍ اغتَرَّ بِي ذَا أَشْبُلٍ غَرَثَتْ فَكَانِي أَعظَمُ اللَّيثَينِ إِقْدَامَا

فقال: فكأنّني مع تمكنه أنْ يقول: فكنته أعظم الليثين إقداما، جعل أعظم بدلا من الضمير".[71]

وعند الحديث عن الموصولات الاسميّة المشتركة، يذكر (أل)، ويذكر أنَّها تدخل على الفعل المضارع مثل قول الشاعر:[72]

مَا أَنْتَ بِالحَكَمِ الْتُرضَى حَكُومَتُه ولَا الأَصِيْلِ ولا ذِي الرَّأْيِ والجَدَلِ

وبقول الأخر:[73]

يقولُ الخَنَا وأَبْغَضُ العُجْمِ نَاطِقاً إِلى رَبّنا صَوتُ الحِمَارِ اليُجَدَّع

وبقول آخر:[74]

ما كالِيُروحُ ويَغْدُو لاهِياً مَرِحَاً مُشمّراً يَسْتديمُ الحَزْمَ ذُو رشَدِ

---

[67] – حاشية الخضري، 197/1.
[68] – البخاري، صحيح البخاري، ص126.
[69] – نفسه، ص130، وابن مالك، شواهد التوضيح، والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، ص190 تح، محمد فؤاد عبد الباقي، نشر عالم الكتب، بيروت.
[70] – البيت من البسيط، لم يعرف قائله، ينظر: شرح التسهيل154/1.
[71] – شرح التسهيل، 154/1.
[72] – البيت من البسيط، للفرزدق، ينظر: شرح شواهد ابن عقيل، ص23، وشرح شواهد المغني 162/1.
[73] –البيت من الطويل، القائل هو ذو الخرق الطهوي، واسمه دينار بن هلال، ينظر: الخزانة 14/1.
[74] – البيت من البسيط، لم يعرف قائله، ينظر: الخزانة 11/1.

وقول آخر:[75]

ولَيْسَ اليُرَى لِلْخِلِّ مِثْلَ الَّذي يرى لَهُ الخِلُّ أَهْلاً أَنْ يُعَدَّ خَلِيْلاً

فقال ابن مالك: "وعندي أنَّ مثل هذا غير مخصوص بالضرورة، لتمكّن قائل الأوّل أنْ يقول: ما أنت بالحكم المرضى حكومته، ولتمكن الثاني أنْ يقول: إلى ربّنا صوت الحمار يُجدع، ولتمكن الثالث أنْ يقول: ما مَنْ يروح، ولتمكن الرابع أنْ يقول: وما من يرى"[76]، فابن مالك خالف جمهور البصريين، الذين يخصّونه بالضرورة، وخالف الكوفيين الذين يجيزونه في الاختيار، بل اختار لنفسه مسلكًا مخالفًا.

المطلب الثاني: أثر ابن مالك في التعليم المعاصر.

إذا بحثنا عن الأثر الذي تركه ابن مالك في مؤلّفاته، وتلاميذه، نجده هو الأثر نفسه، الذي يتركه كل معلم في تلاميذه من بعده، فابن مالك كان معلّمًا مخلصًا، ملتزمًا بأقواله، وأفعاله خاصّة وأنّه كان يعرف جيدًا أنّه قد ورث المعلم الأوّل المصطفى الكريم- صلّى الله عليه وسلّم- وما يؤكّد هذا الالتزام، والخوف من مراقبة الله عزّ وجلّ قول ابن الجزريُّ:" حدَّثني بعض شيوخنا أنَّه كان يجلس في وظيفته، مشيخة الإقراء بشبّاك التربة العادليّة، وينتظر من يحضر يأخذ عنه فإذا لم يجد أحداً يقوم إلى الشبّاك، ويقول: القراءات القراءات، العربيّة العربيّة، ثمّ يدعو، ويذهب ويقول: إنّه لا أرى أنّ ذِمَّتي تبرأ إلّا بهذا، فإنّه قد لا يُعْلَمُ أنّي جالس في هذا المكان لذلك"[77].

وكان لابن مالك مقدرة على النَّظم العلمي، وهي ميزة حباه الله عز وجل بها، فأخرج الكثير من مؤلَّفاته النَّحويّة، واللُّغويّة نظماً، ولعلَّ هذا من أهمّ العوامل الَّتي ساعدت على رواج مؤلَّفاته وخاصة الألفيّة الَّتي ذاع صيتها، فكادت تفوق ما سبقها من مؤلَّفات النَّحو.

وفي كتبه سلك مسلكا جديدا، بتنظيم الكتاب على أبواب وفصول، فقد نظم رؤوس المسائل، وجعلها أبوابًا، وفروعها فصولا، وهذا المنهج يعتبر جديدا في عهد ابن مالك عن العهود السَّابقة له.

ويبدو أنَّ الخبرة التي استفاد منها ابن مالك في التَّدريس، كان لها الأثر الواضح في أسلوبه، ومنهجه في التَّأليف، فقد كان منهجه تعليميًّا، يعتمد على المناسبة، والاستطراد، وارتباط اللاحق بالسَّابق، وهذا يعني أنَّ ابن مالك، لم يستفدْ من السَّابقين، وتأثر بهم فحسب؛ بل إنَّه في استفادته وتأثره، لا يأخذ الشَّيء برمته، ولا ينقل النَّهج بنصّه، بل يخضعه لذوقه، وتفكيره وتجاربه، واجتهاده، وهذا واضح في الألفيّة، التي تأثّر فيها بابن معط، غير أنَّه بدَّل، وغيَّر، حتى جعلها شاملة مختصرة، كما تميَّز أسلوبه في

[75] – البيت من الطويل، لم يعرف قائله، ينظر: شرح التسهيل 201/1.
[76] – شرح التسهيل، 202/1.
[77] – ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القرّاء، 181/2، الطبعة الأولى، نشر مكتبة ابن تيمية، وينظر: حاشية الخضري 7/1.

مؤلفاته بالسُّهولة في كلّ ما ذهب إليه من آراء واتجاهات، حتّى إنَّه ليصرّح بذلك في مناسبات كثيرة بقوله: "هذا أسهل المذاهب، وأبعدها من التَّكلُّف"[78].

ولأنّ ابن مالك كان مُعلِّمًا، فقد وضع مؤلّفاته لتلاميذه، منها الكافية الشَّافية وضعها بحلب والخلاصة (الألفية)، وضعها بحماة، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، وضعه بدمشق، حيث سلك ابنُ مالك في مؤلَّفاته مسلك المعلِّم، فهو يقول في أوَّل شرحه للعُمدة: "نسبة الكلمات من الكلام نسبة حروف الهجاء من الخط، فكما أنَّ معلِّم الخط يبتدئ بتبيين عدد الحروف، وأسمائها وتمييز بعضها من بعض، كذلك معلِّم الكلام يبتدئ بتبيين عدد الكلمات، وأسمائها، وتمييز بعضها من بعض"[79].

وهو يحاول تقريب المعلومة إلى الذِّهن بأيسر الطُّرق، فيقول في علامة الحروف: "أشبه شيء بالكلمات الثَّلاثة (الجيم، والخاء، والحاء)، فإنّها ثلاثة جعل لاثنين منها علامتان وجوديتان وهما النقطتان، وجعل علامة الثَّالث خلوه من النَّقط، فالاسم والفعل بمنزلة الجيم والخاء في الامتياز بعلامتين وجوديتين، والحرف بمنزلة الحاء في الامتياز بعلامة عدمية"[80].

وابن مالك عندما قال:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم واسم وفعل ثم حرف الكلم
واحده كلمة والقول عم وكلمة بها كلام قد يؤم

فكأنه أراد أن يقول: اختصر وافد- وإن كان يصعب على المطّلع للمرة الأولى على ألفية ابن مالك أن يحتاج إلى شرح- وهذا الأسلوب هو ما ظهر واضحا عند شرّاح الألفية خاصّة، فقد شرح ابن عقيل كلام ابن مالك بقوله: "الكلام المصطلح عليه عند النحاة: عبارة عن اللفظ المفيد..."[81]، واستمر ابن عقيل في شرح المصطلحات، التي ذكرها مالك وهي: (الكلام – الكلم- الكلمة – اللفظ – القول) بأسلوب مختصر ومفيد، وكأنّه يريد أن يقول: خير الكلام ما قلّ ودلّ، وهذا دليل واضح على تأثّره بابن مالك.

إنّ الأثر الذي تركه ابن مالك أخذ في الظهور تدريجيًّا، فما قام به ابن مالك من مزج بين الآراء دون ميل، أو تعصّب لجهة معينة، ترك أثرًا واضحًا على النحويين من بعده، وطلّاب العلم، وهذا المنهج الذي يعتمد على الطالب والمعلم هو الأسلوب

[78] – شرح التسهيل، 43/1.
[79] – شرح عمدة الحافظ، 96/1.
[80] – نفسه، 106/1.
[81] – ابن عقيل، شرحه على ألفية ابن مالك، 17/1 تح، محمد محيي الدين، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة ط 2004م.

الأمثل في التعليم، كما أن أسلوب التجديد الذي كان يدعو إليه– وهذا واضح في المصطلحات النحوية التي وضعها والآراء التي تركها مع دعوته المستمرة للتسهيل والتيسير، والبعد عن التكلّف والتعقيد– كلّ هذا كان له الأثر الواضح في طلاب العلم.

وما نراه من شهرة واهتمام لألفيّة ابن مالك، من شروح، وتعليقات عليها، دون غيرها إلّا دليل إعجاب بهذا الأسلوب، وما هذه المناهج التي تدرّس في مدارسنا وجامعاتنا من مصنّفات اعتمدت على التسهيل والتيسير والتنظيم، إلّا أثرا من آثاره، التي أصبحت واضحة في تعليمنا المعاصر.

الخاتمة

يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

1. ولد ابن مالك ونشأ في الأندلس، وأخذ بدايات تعليمه منها، ثمّ رحل إلى مصر والحجاز، ليستقر بالشام، فتتلمذ على شيوخها، ونال شهرة كبيرة، فصار شيخًا، ومعلِّمًا في أشهر دور العلم في الشام.
2. استفاد ابن مالك من مشيخته، فألّف الكثير من الكتب، التي اتسمت بالاختصار، حتّى أنّه سمّى أحدها بالتسهيل، وهو يكرّر كلمة التسهيل، والتيسير في كلّ مؤلفاته تقريبًا.
3. ابن مالك نحوي مجدّد، مزج في مؤلّفاته بين آراء النحاة جميعًا، من بصريين، وكوفيين وبغداديين وغيرهم، وهذا الصنيع لم يُسْبَقْ إليه، وإنْ لاحظنا أنّ البغداديين قد مزجوا أراء البصريين والكوفيين؛ إلّا أنّ قلّة منهم من فعل ذلك، أمّا البقيّة فهو بغدادي الاسم ومذهبه وميوله إمّا بصري، وإمّا كوفي.
4. ابن مالك يذكر في كتبه آراء البصريين، ويخالفهم في بعضها، ويوافقهم في بعضها الآخر، ويذكر آراء الكوفيين، ويوافقهم في بعضها، ويخالفهم في بعضها الآخر، وكذلك آراء البغداديين، والمصريين، والشاميين، والأندلسيين، حتّى يصعب على الباحث أنْ ينسبه إلى مدرسة نحويّة محدّدة، وهو في اختياره للآراء ينتقي أفضلها، فإذا لم تعجبه جميعها، أتى برأي جديد من عنده، مخالفٍ تمامًا لما تعارف عليه النحاة السابقون.
5. استحدث ابن مالك مصطلحات جديدة لم يعرفها سابقوه، فهو الذي توسّع في الاستشهاد بالحديث الشريف، وجعل منه لغة، وهو الذي توسّع في القراءات؛ لأنّ مبدأه القراءة سنّة عن الرسول الكريم– صلّى الله عليه وسلّم– وهو الذي توسّع في الاستشهاد بالشعر، وإنْ خرج به عن الإطار الزمني، لكنّه جعل له حدودًا تتمثّل في السماع عن العرب، وراوٍ ثقة، وهذا العمل الذي قام به ابن مالك، هو خطوة من خطوات سار عليها غيره في باب التجديد، إلّا أنّه زاد عليهم بالتسهيل، والبعد عن التكلّف في كلّ اختياراته، وكثيرًا ما نجد عبارة التسهيل في مؤلفاته.
6. إنّ الأسلوب الذي اتبعه ابن مالك من مزج بين الآراء، وتجديد، وتسهيل أو تيسير وابتعاد عن التعقيد، والتكلف، صيّره معلما ناجحا ذاع صيته، فأقبل الطلاب على موائده العلميّة، يأخذون عنه، وينشرون علمه، ومؤلفاته، وبهذا الأسلوب ترك أثرًا طيّبًا في التعليم من بعده، وفي التعليم المعاصر أيضا.

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

2- أصول النحو العربي، محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة، ط-5-2006م.

3- الاقتراح في أصول النحو للسيوطي، تح وشرح، محمود فجّال، دار القلم، دمشق، ط1-1989م.

4- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، لبنان.

5- تاريخ آداب العرب للرافعي، نشر، دار الكتاب العربي.

- التذييل والتكميل لأبي حيان النحوي، تح، حسن هنداوي، نشر دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى.

7- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تح، محمد بركات، نشر دار الكاتب العربي، القاهرة 1967م.

8- جمع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، أحمد محمود شاكر، ط1-2000م، مؤسسة الرسالة.

9- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل لمحمد الخضري، مطبعة عيسى الحلبي، 1940م.

10- الحركة اللغويّة في الأندلس منذ الفتح العربي حتّى نهاية عصر ملوك الطوائف، المكتبة العصريّة، بيروت، 1967م.

11- خزانة الأدب ولبُّ لسان العرب للبغدادي، تح، محمّد نبيل، وأميل يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1998م.

12- خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري، عبد الرحيم الهيتي، نشر جامعة قاريونس، ط 2- 1993م.

13- الردُّ على النحاة لابن مضاء القرطبي، تح، شوقي ضيف ط 3-1988م، دار المعارف، القاهرة،

14- شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى الحلبي، القاهرة.

15- شرح التسهيل لابن مالك، تح، عبدالرحمن السيّد، ومحمّد بدوي، نشر، هجر للطباعة، القاهرة، ط 1- 1990م.

16- شرح الكافية الشافية لابن مالك، تح عبد المنعم هريدي، نشر جامعة أمّ القرى، مكّة المكرّمة، الطبعة الأولى.

17- شرح المفصّل لابن يعيش، قدّم له إميل يعقوب، نشر دار الكتب العلميّة، بيروت ط 1-2001م.

18- شرح عمدة الحافظ وعدّة اللافظ، تح، عدنان عبدالرحمن الدوري، د. ط

19- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، ص190، تح، محمّد فؤاد عبد الباقي، نشر، عالم الكتب، بيروت.

20- صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة.

21- غاية النهاية في طبقات القرّاء لابن الجزري، الطبعة الأولى، نشر، مكتبة ابن تيمية.

22- فوات الوفيّات لابن شاكر الكتبي، تح، إحسان عباس، نشر، دار صادر، بيروت، ط 1-1973م.

23- كتاب سيبويه، تح، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3- 1989م.

24- المحتسب لابن جنّي، تح، علي النجدي ناصف وآخرون، مطابع الأهرام، القاهرة، 1994م.

25- المدرسة النحويّة في مصر والشام في القرنين السابع والثامن، عبد العال مكرم.

26- معاني القرآن للفرّاء، تح، أحمد يوسف النجاتي، وآخرون، الدار المصريّة للتأليف، القاهرة ط 1- 1980م.

27- معاني القرآن وإعرابه للزجّاج، تح، عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط 1- 1988م.

28- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح، محمّد محيي الدين، دار الطلائع للنشر، القاهرة 2005م.

29- من تاريخ النحو لسعيد الأفغاني، نشر دار النفائس، بيروت، 1980م.

30 - نشأة النحو لمحمد الطنطاوي، مطبعة السعادة، القاهرة، ط 1- 1968م.

31- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد المقري، تح، إحسان عبّاس، نشر، دار صادر، بيروت، ط 1- 1968م.

32- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي، تح، عبد العال مكرم، نشر عالم الكتب، القاهرة، 2001م.

33- الوافي بالوفيّات لصلاح الدين للصفدي، تح أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، نشر، دار إحياء، بيروت، 2000م.